استئناف جاء معترضا بين ذكر دلائل وحدانية الله تعالى بذكر عظيم قدرته على تكوين أشياء لا يشاركه غيره في تكوينها فالجملة معترضة بين جملة (يغشي الليل النهار) وجملة (وهو الذي يرسل الرياح) جرى هذا الاعتراض على عادة القرآن في انتهاز فرص تهنؤ القلوب للذكرى . والخطاب ب (ادعوا) خاص بالمسلمين لأنه تعليم لأدب دعاء الله تعالى وعبادته وليس المشركون بمتهيئين لمثل هذا الخطاب وهو تقريب للمؤمنين وإدناء لهم وتنبيه على رضى الله عنهم ومحبته وشاهده قوله بعده : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) .

والخطاب موجه إلى المسلمين بقرينة السياق .

و (الدعاء) حقيقته النداء ويطلق أيضا على النداء لطلب مهم واستعمل مجازا في العبادة لاشتمالها على الدعاء والطلب بالقول أو بلسان الحال كما في الركوع والسجود مع مقارنتهما للأقوال وهو إطلال كثير في القرآن .

والظاهر أن المراد منه هنا الطلب والتوجه لأن المسلمين قد عبدوا الله وأفردوه بالعبادة وإنما المهم إشعارهم بالقرب من رحمة ربهم وإدناء مقامهم منها .

وجيء لتعريف الرب بطريق الإضافة دون ضمير الغائب مع وجود معاد قريب في قوله (تبارك الله) ودون ضمير المتكلم لأن في لفظ الرب إشعارا بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية وليتوسل بإضافة الرب إلى ضمير المخاطبين إلى تشريف المؤمنين وعناية الرب بهم كقوله (بل الله مولاكم) .

والتضرع : إظهار التذلل بهيئة خاصة ويطلق التضرع على الجهر بالدعاء لأن الجهر من هيئة التضرع لأنه تذلل جهري وقد فسر في هذه الآية وفي قوله في سورة الأنعام (تدعونه تضرعا وخفية) بالجهر بالدعاء وهو الذي نختاره لأنه أنسب بمقابلته بالخفية فيكون أسلوبه وفقا لأسلوب نظيره في قوله (وادعوه خوفا وطمعا) وتكون الواو للتقسيم بمنزلة (أو) وقد قالوا : إنها فيه أجود من (أو) . ومن المفسرين من أبقى التضرع على حقيقته وهو التذلل فيكون مصدرا بمعنى الحال أي متذللين أو مفعولا مطلقا ل (ادعوا) لأن التذلل بعض أحوال الدعاء فكأنه نوع منه وجعلوا قوله (وخفية) مأمورا به مقصورا بذاته أي ادعوه مخفين دعاءكم حتى أوهم كلام بعضهم أن الإعلان بالدعاء منهي عنه أو غير مثوب عليه وهذا خطأ : فإن النبي A دعا علنا غير مرة . وعلى المنبر بمسمع من الناس وقال : " اللهم حوالينا ولا علينا " وقال " " اللهم عليك بقريش " الحديث . وما رويت أدعيته إلا لأنه جهر بها يسمعها من رواها فالصواب أن قوله (تضرعا) إذن بالدعاء بالجهر والإخفاء وأما ما ورد من النهي

عن الجهر فإنما هو عن الجهر الشديد الخارج عن حد الخشوع . وقرأ الجمهور (وخفية) " بضم الخاء " وقرأه أبو بكر " بكسر الخاء " وتقدم في الأنعام .

وجملة (إنه لا يحب المعتدين) واقعة موقع التعليل للأمر بالدعاء إشارة إلى أنه أمر تكريم للمسلمين يتضمن رضى ا عنهم ولكن سلك في التعليل طريق إثبات الشيء بإبطال ضده تنبيها على قصد الأمرين وإيجازا في الكلام . ولكون الجملة واقعة موقع التعليل افتتحت ب (إن) المفيدة لمجرد الاهتمام بقرينة خلو المخاطبين عن التردد في هذا الخبر ومن شان (إن) إذا جاءت على هذا الوجه أن تفيد التعليل والربط وتقوم مقام الفاء كما نبه عليه الشيخ عبد القاهر .

وإطلاق المحبة وصفا تعالى في هذه الآية ونحوها إطلاق مجازي مراد بها لازم معنى المحبة بناء على أن حقيقة المحبة انفعال نفساني وعندي فيه احتمال فقالوا : أريد لازم المحبة أي في المحبوب والمحب فيلزمها اتصاف المحبوب بما يرضي المحب لتنشأ المحبة التي أصلها الاستحسان ويلزمها رضي المحب عن محبوبة وإيصال النفع له . وهذان اللازمان متلازمان في أنفسهما فإطلاق المحبة وصفا مجاز بهذا اللازم المركب .

والمراد ب (المعتدين) : المشركون لأنه يرادف الظالمين .

A E